

# القسم الأول

## حياة المقرري

أسرته :

في إقليم الزاب بالمغرب الأوسط ، وقرب قلعة بني حماد ، مدينة جميلة ، تحيط بها البساتين ، وتجري حولها الأنهار ، بينها وبين طنبنة ثمانية فراسخ كما قال ياقوت .

في هذه المدينة مقررة استقرت أسرة عربية قرشيّة لا نعرف متى كان خالوها بها ، وكم مدة مقامها فيها ، وإنما الذي عُرف أنها استمرت بمقررة إلى أن انتقل منها الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر علي القرشي صحبة شيخه الصالح أبي مدين (١) إلى تلمسان في القرن السادس الهجري ، وهناك كثرت فروع هذه العائلة التي عُرفت بمسائلة « المقرري » وذاع صيتها ، وعظم جاهها ، فهي زيادة على عروبتها القرشيّة اشتهرت بالعلم والثراء ،

(١) هو شعيب بن الحسين الأندلسي . شيخ المشايخ . وسيد العارفين . كما كان يلقب . توفي سن ٥٩٤ هـ .

انظر ترجمته المطولة التي نقلها المقرري عن كتاب « النجم الثاقب » فيما لاوليا ، الله تعالى من المناقب « لابي عبد الله محمد بن التلمساني . نفتح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢

الذي جلبته لها التجارة؛ لأن عائلة المقرري، سكّانت تشتغل بالتجارة بين  
تلمسان، وسجلماسة، وبلاد السودان.

قال أبو عبد الله محمد المقرري جد صاحب النسخ «... وكان التلمساني  
يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد  
والعاج والجوز والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان، يعرفهما بقدر الخسران  
والرجحان، ويكاتبهما بأحوال التجارة، وأخبار البلدان، حتى اتسعت  
أحوالهم (١)» وأصبحت التجارة بتدهور لما افتتح التكرور السودان، ثم  
رجعت إلى ما كانت عليه، وقد تكوّنت علاقات حسنة مع التكرور،  
واستمرت العائلة في أعمالها التجارية الراسعة النطاق، حتى خلف خلف  
أضاعوا التمشير، وأنفقوا ثمنها وجدوا مع توالي الفتن، وجسور السلاطين،  
وبذلك اضضعت التجارة مورد غناهم.

ولما أدرك أبو عبد الله المقرري، لم يجد ذلك الثراء الواسع الذي يبدو  
أنه لم يعد للعائلة مرة ثالثة؛ وأما العلم، فقد امتد فيما أعلم إلى وفاة صاحب  
النسخ؛ وأما الجاه فلم يزل ممتدا. فرئيس حكومة المغرب الأقصى الحالي،  
يتنسب لهذه العائلة التي عرفت الثراء والمجد، وانتسبت للعلم انتساباً قوياً،  
حقّق خلوداً.

## نسبه وولادته :

ومن هذه الأسرة صاحبنا شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى ابن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد ، أبو العباس المقرئ التلمساني .

قال في مقدمة النفح ، وفي صفحة ٣٤٢ من الجزء التاسع ، إنه ولد بتلمسان ، ولكنه لم يمتين لنا سنة ميلاده ، وكذلك الذين كتبوا عنه ، فإنهم أهملوها أيضا . ويرى الأستاذ ليفي بروفنسال ، أنه ولد سنة ١٠٠٠ هـ ( ١٥٩١ - ١٥٩٢ م ) ولكن قول المقرئ نفسه « ... إلى أن ارتحلت عنها ( يعني تلمسان ) في زمن الشيبية ، إلى مدينة فاس سنة تسع وألف ( ١ ) » يدل على أنه ولد قبل هذا الزمن ؛ لأن من بلغ زمن الشيبية ، فقد جاوز تسع سنين ؛ ويرى الأستاذ عبد الله عنان ، أنه ولد سنة ٩٩٢ هـ ( ١٥٨٤ م ) ويشير إلى الفقرة المتقدمة ، ويستدل أيضا بإشارة المقرئ حين التحدث عن اعتزامه كتابة النفح ، إلى شبابه الذهاب الذي قضاه ببلاد المغرب قبل سفره إلى المشرق . يستدل بذلك على أنه كان إذاك في نحو الخامسة والثلاثين .

ونستطيع أن نستدل أيضا على أن المقرئ حين رحل إلى فاس المرة الثانية ، لم يكن عمره ١٣ سنة حسب تاريخ الولادة الذي عيّنه بروفنسال ، وإنما كان عمره ٢١ سنة إن لم يكن أكثر بقول المقرئ « ... بعد أن نعمنا برهة من الزمان في ظلال الأمان ، وقطفنا نبتة من الشباب في مواطن

الأحباب ، فالمقري زيادة على أنه كان في عهد الشباب بتلمسان ، فقد قطع منه نبذة .

تعليماً :

نشأ المقري بتلمسان في ظل والده محمد المقري ، الذي كان شاذلي الطريقة (١) ولهذه الطريقة أهمية سيأتي بيانها .

ولما كبر قليلاً لقن القرآن الكريم حفظه ، ولازم حلقات العلماء في تلمسان التي كانت في ذلك العصر مركزاً عظيماً للدراسات الدينية ، وأسهمته حافظته الجبارة التي كان يتفوق بفضائلها على أقرانه في الدراسة ، كما أعلمنا بذلك ، فإذا هو يعلم من أمر الحديث والفتنة ، وعلم الكلام ، وسير الرجال الشري ، الكثير ، ولم يزل حدثاً .

والشيخ الذي أفاده كثيراً ، ورعاه ، هو عمه أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري ، فقد قرأ عليه تصحيح البخاري سبع مرات . وها هو ذا أبو العباس نفسه ، يشير إلى قراءته البخاري على عمه في إحدى الإجازات فيقول :

وقد أخذتُ جامع البخاري \* عن عمي الإمام ذي الفخار المقري سعيد الإمام عن \* محمد يدعي خروفا حين عن (٢)

وروى عنه الصكيب الستة عن أبي عبد الله التنسي ، عن والده محمد بن عبد الله التنسي ، عن أبي عبد الله بن مرزوق ، عن أبي

(١) انظر رسالة الصديقي في آخر فتح المعالم مخطوطة صادقة رقم ٩٧٥

(٢) فتح الطيب ج ٣ ص ١٨٥

حيان ، (١) عن أبي جعفر بن الزبير ، عن أبي الربيع ، عن القاضي عياض  
بأسانيد المذكورة في الشفا (٢)

ولم يزل المقرئ في لسان « بين دراسة ودراية ورواية ، وممارسة  
أمور تبعه عن طرق النوايا ، وتحجير طروس ، وملازمة دروس ، ومشول  
بين يدي أشياخ مجالسهم نامية الفروس » (٣) إلى سنة ١٠٠٩ هـ .

### رحلته إلى فاس :

في أصيل من أصائل سنة ١٠٠٩ هـ رحل المقرئ - أول مرة - إلى فاس ،  
وأخذ هنالك عن الشيخ القصار ، وابن أبي النعيم ، وأحمد بابا الشبكتي  
السوداني ، وابن عمران وغيرهم .

وبقي في فاس إلى سنة ١٠١٠ هـ (٤) وفي أواخر هذه السنة ، عاد إلى  
تلمسان ، ثم عاد مرة ثانية إلى فاس سنة ١٠١٣ هـ حيث استقر بها إلى أن  
ارتحل إلى المشرق . أما ما قاله عبد الله عنان من أنه زارها مرة أخرى سنة  
١٠١١ هـ فغير صحيح . فالمقرئ يخبرنا بأنه عاود الرجوع في سنة ١٠١٣ هـ .

(١) أشار المقرئ إلى أن روايته ، تتصل بأبي حيان من طرق عديدة .  
نفتح الطيب ج ٣ ص ٣٣١

(٢) الأحاديث المسندة في الشفا ستون حديثا جمعها بعضهم في تاليف مستقل .

(٣) من مقدمة أزهار الرياض .

(٤) وفي هذه السنة ( ١٠١٠ هـ ) ذهب إلى مراكش ، وحضر احتفال المنصور  
الذهبي بالمولد النبوي الشريف . انظر حديثه عن ابن عباد في نفتح الطيب ج ٣  
ص ١٧٩ الطبعة الأزهرية .

فقط . أما السنة التي ذكرها الأستاذ ، فلم نذكرها . وما قاله صاحب  
صفوة من التشرّح فيما نقله عنه مؤلف تعريف الخلف من أن المقرّي « رحل  
لمرّة كشف عام ١٠١٠ هـ فأقام بها سنتين ، ثم رجع إلى فاس (١) » فيظنّ  
أنه تخليط .

ورحلة المقرّي إلى فاس لها أسباب ، لم يذكرها حين تحدث عنها .  
وقال محققو أزهار الرياض إن هنالك أسبابا سياسيّة . اقتضت منه الرحيل ،  
ولم يميّطوا عنها اللثام (٢)

ويبدو أن هذه الأسباب التي لا نشك في وجودها ، لم تكن هي  
الباعثة على الرحيل في المرّة الأولى ، وإنما هي التي اضطرتّه لرحلة ثانية ،  
وجعلته يستقر بفاس .

والذي جعلنا لا نشك في وجودها كلام المقرّي نفسه في مقدمة أزهار  
الرياض الذي يحدّث فيه إلى بلاده ، ويشكو من مفارقة مرتع التّصيّب ، وبلد  
الأهل والأحباب ، ومع ذلك لا يستطيع الزيارة ، ويشكو أيضا من

---

(١) ص ٤٤ من تعريف الخلف . . .

(٢) يقول الأستاذ الشرايبي (من فاس) في مقال نشره عن المقرّي في مجلّة

الرسالة س ١٩٣٥ عدد ١٠١ و ١٠٢

إن أبا العباس ، حركته نفسه الطموح إلى مشاهدة آثار الفن الاندلسي الجميل ،  
فرحل إلى فاس وارثا الحضارة الاندلسية ، ولم يستدل على ذلك بدليل ، وهو في  
أشد الحاجة إليهم ، لأن تعليل رحلتهم إلى فاس ذاك التعليل غير مطمئن إليهم ،  
ولا تؤيّد حياة المقرّي الأولى ، ولا كلامه .

رزايا الدهر ، و ضرباته « . . . وكثيرا ما يحرك ذلك ( يعني رسائل الاقارب  
والاخوان ) مني كامن الشوق ، شبّ عمّره عن الطوق (١) ، وأجد من  
لواعج الاقارب ما وجدته الفرزدق عند مباينة النوار (٢) :

بلادُ الجزائر ما أمرّ نواها \* ككف الفؤاد بحبها وهواها  
يا عاذلي في حبها كن عاذري \* يكفنيك منها ماؤها وهواها  
. . . . وكنا نحسب أن الدهر لا يدور ، وأن الأعمار صبور ،  
والأهلة بدور حتى ضرب الدهر ضرباته ، وبدد الرفيق من ذلك الفريق  
وأبانه . فلم تتأود قدود الاغصان ، ولم تترنح أعطاف البان ، وانقطعت  
الأسباب ، عن مواصلة الجيران والاقربان . . . . وهما أنا الآن أحاول  
إطفاء لهيب بالضلع وقد ، وأعالج أدواء سقم جلى ، وكيف لا وقد :

رُوعت بالبين حتى ما أراع به \* وبالمصائب في أهلي وجيراني  
لم يترك الدهر لي علقما أضن به \* إلا رماه بنفقد ، أو بهجران (٣) «  
واستقر المقرري بنفاس التي كانت تزخر بالعلماء والادباء ، وكان ذلك

---

(١) تضمين للمثل الذي قاله جديمة البرش لعمر بن عبد ذي ، ابن أخته  
رقاش حينما رأى عليه طوقا من ذهب ، طوقته به أمه بعد غيبة طويلة . والمثل  
« شبّ عمرو عن الطوق » أو « كبر عمرو عن الطوق » انظر قصة المثل في تاج  
العروس مادة طوق ج ٦ ص ٢٨٤ - أمثال العرب للضبي ص ٨٦ ط مصر س ١٩٠٩  
(٢) يشير إلى قول الفرزدق :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطامعة نوار

(٣) الازهار ج ١ ص ١١

في فاتحة عصر السلطان أبي المصالي زيدان السعدي بعد ما قضى أحمد المنصور سنة ١٠١٣ هـ

وسنحت الفرصة له للدرس والبحث ، وإظهار تفوقه الذي كان يشعر به في دخيلة نفسه ، وإن كان يتظاهر بالمعجز والقصور ، وتلك نعمة المصير التي يبالغ فيها البعض إلى درجة تحقير النفس المتكاف ، ووصم الذات بما يعينها أشد العيب .

قال عبد الكريم الفكون مفتي قسنطينة في مطلع القرن الحادي عشر الهجري « والعذري أنني لست من أهل هذا الشأن ، والاعتراف بأنني جبان وأني جبان ، والكمال لكم في الرضا والقبول ، والكريم يُغضي عن عورات الأحمق الجهول (١) »

ما أشد حاجته إلى ترك هذه الأوصاف المنحجلة ، ولكنه التواضع المزيف الممتد الذبول !

واتصل المقرئ في فاس بالأشراف السعديين ، وفي مقدمتهم السلطان زيدان الذي مكّنه من مكتبته ، وتولّى في أيامه منصب الإفتاء الذي بقي فيه ١٣ سنة (٢) ويقول المحبّي (٣) أن الفتوى صارت للمقرئ في زمن أحمد المنصور . وهذا يبدو غير صحيح : لأن المقرئ بقي في منصب الإفتاء ، حتى رحل إلى المشرق سنة ١٠٢٧ هـ فإذا تولى المنصب في زمن المنصور ،

(١) نصح الطبيب ج ٣ ص ٢٣٩

(٢) راجع الفكر السامي للشيخ الحجوي ج ٤ ص ١١٠

(٣) خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٠٢

تكون المدة التي قضاها في الحظرة أكثر من ١٣ سنة ، كما أن رجوعه إلى تلمسان ، وخروجه منها لأسباب مكرهة غير مباشرة أتمهاله في فاس ، يدل على أنه لم يقلد الإفتاء في رحلته الأولى إلى فاس .

وذاع صيت المقرئ في فاس ، سيما بعد ما ألف كتباً كثيرة منها أزهار الرياض ، وتولى بعد وفاة الشيخ الهرأوى سنة ١٠٣٢ هـ الإمامة والخطابة بجامع القرويين ، وسكن في دار ابن عبّاد الملاصقة للجامع ، كما أخبرنا بذلك وهي الدار التي يسكنها خطيب الجامع ، ولم تزل قائمة الذات إلى الآن . ويفهم من كلام عبد الله عنان ، أن المقرئ تولى الإفتاء بعد الإمامة والخطابة وهذا غريب من الأستاذ ، والمقرئ يقول « على أي سكنت محله ( يعني ابن عبّاد ) لما توليت الخطابة والإمامة من جامع القرويين بفاس المحروسة مظافين إلى الفتوى (١) »

ولم يزل المقرئ في فاس يتمتع بمحظوة وتقدير ، ومكانة علمية سرمدوقة بين طلاب المعرفة ، إلى أن رحل إلى المشرق قاصداً حج بيت الله الحرام ، وفي نفسه أشياء ليس منها الطواف ، وترك الخيط .

### رحلته إلى المشرق :

بعد إقامة طويالة في مدينة فاس التي ظالما أغنى بمعاسنها المقرئ ، وأشاد بجمالها ، وجوّها الشعري الساحر « . . . ديباجها ربيعى ،

(١) نفع الطيب ج ٣ ص ١٧٧ الطبعة الازهرية

وامتزاجها بالنفوس طبيعي ، ولم لا وقد نفضت المغاخر ، ونسقتها ، وجمعت  
المآثر ، ووسقتها ، جادتها غير السحب ، وسقتها :  
بلادُ بها الحصباءُ درُّهُ وترُبُّها \* عبير ، وأنفاس الرياح شمُّول  
تسلسل منها ماؤها ، وهو مطلق \* وصبح نسيمُ الرِّوض ، وهو عليل  
تولى أبو العباس خلال هذه الإقامة مناصب عليا ، وحظي بالرضا  
من العلماء والأدباء ، وأهل القصور .

بعد هذه الإقامة الحبيبة إلى النفس ، يضطر إلى الرحيل ، فيركب  
البحر مسرعا ، واصفا أهواله ، وجلا من مطاردة القرصان النصارى .

ما الذي اضطره إلى هذه الرحلة يا ترى ؟

إن الحوادث المتصلة الحلقات بالمغرب الأقصى ، والتي اشتدُّ أوارها  
بعد وفاة المنصور الذهبي ، إلى انقراض دولة السعديين ، وما تعرضت له فاس  
خلال هذه الفترة من شدائد وأهوال ، ليس أشدَّها رمي الأطفال في  
القدور (١) إن هذه الحوادث وحدها ، تكفي بأن تكره المقرئ العالم الذي  
هو في مسيس الحاجة إلى الاستقرار ، على الرحيل . أما وقد كان للمقرئ بها  
اتصال وثيق ، فيما من رحيله بد ، وما لإقامته من سبيل .

وهذا الاتصال عله الشيخ مخلوف بقوله « وسبب خروجه من فاس :  
أن سلطانها طلب من العلماء فتوى في أمر نزل ، وإعطاء العرائش للنصارى ،  
فأفتى من أفتى ، وهرب جماعة منهم صاحب الترجمة (٢) »

(١) الاستقصاء ج ٣ ص ١٢٥

(٢) شجرة النور الزكية ج ١ ص ٣٥٥

والذي يبدو أن سبب خروجه من فاس ، وتوجهه إلى المشرق ، ليس هذا الذي ذكره الشيخ ، وإن كانت قصة الفتوى ثابتة . فقد حدثنا التاريخ أن الشيخ المأمون بن المنصور السعدي ، ذهب إلى ملك إسبانيا مستعيناً به على أخيه السلطان زيدان ، ولما أتى الملك إيعاقته ، رآه الشيخ على أن يترك أولاده ، وحشمه رهناً عنده ، فقبل الملك الأمانة بعد ما قبل المأمون تسليم العرائش للنصارى عند ما يتم له الأمر . ولما تم له الأمر سلم العرائش وسمع لثمة الشعب هديرٌ . وويل للملوك من هدير الشعوب الناقمة !!

فما هي الحيلة التي سيخفف بها المأمون من الغليان إن لم تكن فتوى من علماء الدين ؟

وكتب سؤال « هل يجوز أن يفدي السلطان أولاده المرهونين بفرض العرائش » وعرض على علماء فاس ، فحضي بالقبول ، و « حكم الجواز » وكان من بين هؤلاء العلماء الذين عرض عليهم السؤال أحمد المقرئ الذي اختفى هو ، وجماعة مدة ، حتى صدرت الفتوى (١)

والذي جعلنا نشك كل الشك في أن تكون هذه القصة سبب خروجه من فاس ؛ لأنها وقعت سنة ١٠١٩ هـ أي قبل رحلة المقرئ بسبع سنين ، وكلام الشيخ مخلوف ، يفهم منه أن المقرئ خرج فاراً إلى المشرق ، لما طُلبت الفتوى . وهذا ليس حقاً ، بل المقرئ بقي في فاس بعد ذلك ، وتولى الإمامة والخطابة مما يدل على مكانته عند السلطان .

(١) الاستقصاء ج ٣ ص ١٠٦

أما سبب رحلته الذي يبد وأنه السواقع ، هو اتهامه بالميل إلى جماعة شراقة . فقد كان عبد الله بن الشيخ الذي يظهر أنه يعطف على أبي العباس ، يعتمد الاعتماد كله في مماركته ، وإخماد الثورات على شراقة ، وهم عرب بادية تلسان ، وما هو قريب منها ، وسُمُّوا بذلك ؛ لأنهم في ناحية الشرق من المغرب الأقصى ، والعامّة يلعنون ، فيقولون شراكية ، وشعور عبد الله بأنهم أنصاره ، وهم الذين ~~ممكنوه~~ من الأثر ، جعله يبيح لهم أرزاق الناس وأعراضهم .

ودخل هؤلاء البدو مدينة فاس ، فعم الاضطراب ، وكثر الاعتداء ، وانتهكت الحرمات ، ففضب أهل فاس ، وثاروا بقيادة أبي الريح سليمان الزرهوني ، وقاتلوا جنود السلطان ، وأخرجوهم من المدينة .

ولما ضعف أمر السلطان ، وتهمة الميل إلى شراقة ، لصقت بأبي العباس ، خشي على نفسه من أهل فاس ، فخرج مسرعا ، واجنب القلب . وإذا رجعنا إلى المقرئ نفسه ، فإننا نجده يلوح تلويحا ، ويومض إيماضا ، ويفر من التصريح والإبانة ، فرار ذي القعدة النكراء من نفسه ، كماداته في الدوران والاحتراز في مثل هذه المواقف ، فهو لا يعلمنا بسبب رحلته في صراحة ووضوح ، وإنما يقول « إنه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب ، أورد . . . برحلي من بلادي ، ونقلني عن محل طارفي وتلاذي ، بقطر المغرب الأقصى الذي تمت محاسنه ، لو لا أن

سياسة الفتن سامت بضائع أمنه نقصا ، وعلما به ببحر الأوهال . . . وذلك  
أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الألف (١) »

ولممكنه لا يعلمنا لماذا طالب منه السلطان الرحيل ؟ سيما والسلطان  
الذي هاجر في أيامه ، هو الذي ولاه منصب الإمامة والخطابة ، وهو الذي  
جلب جماعة شرافة الذي أنهم أبو العباس بالميل إليها .

والملاحظ أن المقرئ في مناسبة أخرى لا يشير إلى أمر السلطان ،  
وإنما يقول : إنه خرج قاصدا الحج الذي جمعه مطيئة لغيره « ثم ارتحلت  
بنية الحجاز ، وجمعت إلى الحقيقة الحجاز (٢) »

وهكذا خرج المقرئ من فاس مخفيا ، تسمع لقلبه وجيا ، وتعلم أن  
نفسه حديثا وأي حديث ، بعد ما دخلها مقبلا على الدرس والتحصيل ، متسما  
بجمال المدينة ، مرتاحا رقة أهلها ، بينه وبين الصدارة في بلاط المنصور صلة  
وثيقة ، وبينه وبين الخطوة عند أبي المعالي زيدان صلة أوثق .

## المقرئ في الحجاز :

ها هو ذا أبو العباس . تضطوره عوامل قاسية إلى مغادرة فاس .

(١) نصح العليبي ج ١ ص ٢٨٠ . وأنه هنا أن عبد الله عنان بعد ما أحال على  
النصح عند إشارته لهذا القمرة في حديثه عن أسباب رحلة أبي العباس إلى المشرق ،  
أحال أيضا على أزهار الرياض ج ١ ص ٣ وهذا غير صحيح ، لأن إشارة المقرئ  
في الأزهار . تتعلق برحلته من تليسان إلى فاس ، لا من فاس إلى المشرق .

(٢) نصح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢

وإكراه النفس على غير ما تود ، فيعند المزم على الرحيل في أواخر رمضان سنة ١٠٢٧ هـ ويعبر بمرآكش ، وينشد صاحبها متمثلاً بقول علي بن عبد العزيز الحنطري :

حجتي لتتضي سُقامي \* وحالتي لتتضي الرحيلاً

فيجيبه صاحب مرآكش بقوله :

لا أوحش الله منك قيوماً \* تعودوا صنمك الجحلاً

ولكن بيت شعر لا تبطل عزما من ورائه خشية ، وفي نفس صاحبه هواجس ، وفي مستقبله ظلمة ، فلا يسكن هذا الخافق ، إلا بعد الابتعاد عن وسط الفتنة والكييد .

ويركب المقرئ البحر من ثغر تطاوين بغرب الجزائر (١) في ذي القعدة من سنة ١٠٢٧ هـ ويهول البحر ، وتكسر المجاديف ، ويشرف المركب على الهلاك ، وتأس النفوس من النجاة ، فيرسل المقرئ مثال النعل الشريف إلى ربان السفينة : ليتوسل به وينجى المركب من الغرق ، ويصل إلى تونس : يسافر منها إلى ثغر سوسة وفي هذه المرحلة ، تشتد الأمواج من جديد ، وتبعث في النفوس الرُّوع ، وظلمة الحياة .

ولم يزل البحر يقسو على المركب مرة ، ويأين أخرى ، ولم يزل نفوس راكبيه بين فسحة الأمل ، وظلمة اليأس ، حتى وصل المركب

(١) راجع ص ١٨٧ من فتح المتعال مخطوط بالصادقية رقم ٩٧٥

الإسكندرية ، ومن هناك قصد المقرئ القاهرة ، ولما وصاها بهرتته معاملها  
ومحاسنها ، فإذا هو ينشد قول ابن مباتي :

جزيرة مصر لا عدتلك مسيرة \* ولا زالت اللذات فيك انصالتها  
فكم فيك من شمس على غصن قامه \* يميت ويحيي هجرها ووصالها  
ويقيم مدة قصيرة في القاهرة ، ثم يركب البحر قاصداً أرض الحجاز ،  
أو « المههم الأَعْظَم ، والمقصد الأكبر » كما يلدِّله أن يقول ، وتطأً قدماه  
تراب مكة ، ويستولي عليه شعوره الديني ، فإذا هو في غيوبة صوفيّة ،  
وإذا هو حين يبصر البيت الحرام ، يغيب عن الوجود ، أو يكاد (١) وينشد  
قول الشبلي :

قات للقباب إذ تراعى لبعيني \* رسمُ دار لهم ، فهاج اشتياقي  
هذه دارهم ، وأنت محبُّ \* ما احتباس الدموع في الآفاق ؟  
والمفاني (٢) للصبِّ فيها معاني \* فهبي تُدعى مصارع العشاق  
حلَّ عقد الدموع ، واحلُّل رباها \* واهجر الصبر ، واراع حق الفراق

وفي أوائل ذي القعدة من سنة ١٠٢٨ هـ أتمَّ المقرئ العمرة ، وبقي  
يتربَّع أيام الحج ، ولما أدى فريضة الحج ، أراد أن يقيم في مكة . ولكن  
حال من دون ذلك حائل . وقصد بعد ذلك المدينة المنورة . ولما قضى مدة  
بجوار الرسول عليه الصلاة والسلام ، رجع الى مصر في محرم سنة ١٠٢٩ هـ

(١) نفتح الطيب ج ١ ص ٥٠

(٢) المنازل .

وتردد كثيرا بعد ذلك على مكة والمدينة ، فلم يأت صفر سنة ١٠٣٧ هـ حتى كان قد زار مكة خمس مرات ؛ وزار المدينة أيضا سبع مرات . وفي خلال هذه الزيارات الكثيرة ، جاور في مكة مسدة من الزمن كما كانت التقاليد في ذلك العصر ، وألقى بها دروسا كثيرة ؛ وأقام في المدينة زمنا ، مكَّنه من التأليف (١) وإلقاء دروس في الحديث الشريف بالروضة النبوية .

ومن الأماكن المقدسة التي زارها المقري بيت المقدس ففي ربيع سنة ١٠٢٩ هـ رحل إليها ، ثم عاد الى القاهرة ، ثم عاد إليها مرة ثانية في أوائل رجب سنة ١٠٣٧ هـ وبقي هنالك ٢٥ يوما ، وألقى بالمسجد الأقصى ، والصخرة المنيفة عدة دروس ، وزار البقاع المقدسة هناك .

وهكذا يتبين لنا أن كلف المقري بالأماكن المقدسة ، كان شديدا ، فكلما سنحت له فرصة لزيارة أحد المساجد الثلاث ، إلا اغتمها ، وحسبها منة من الله وفضلا ، وهذه الزيارات تكشف لنا عن جانب كبير الأهمية من جوانب شخصية المقري ، فهي تُبين عن إحساسه الديني المسيطر ، وتصوّفه الغير الواعي ، وفراغ حياته مما يقتضي الاستقرار ، ويُشعر بالزمن ، فهو إما يحرر في موضوع ما ، أو قل يجمع ما حفظ فيه ، أو يلقي درسا من الدروس ، يعقبه إمطار يده تقيلا ، أو هو يشق البحر ، أو ينهب الأرض منها لأحد المساجد الثلاث .

(١) عند الحديث على مؤلفات المقري ، سأشير إلى الموضوعات التي كتب فيها بالمسجد النبوي .

وليس من التعمق البعيد في البحث أن نرى أن لاضطراب حياة المقرري الخاصة ، وكساد سوق المعرفة ، ولتأعب عيشه ، ومشاكله الزوجية ، أثرا فعّالا في هذه الزيارات « والتبرك » وإن كان ذلك أظهر ميزة العصر .

### المقرري في دمشق :

سمع أبو العباس كثيرا عن أهل دمشق ، ونبأ أخلاقهم ، وجمال بلاد الشام ، وحسن معاملها . أليست بها الخوطة الفناء ، وبتدنى المناسبات في هدوء وصفاء ؟

سمع المقرري ذلك ، وأكثر منه ، فتأقت نفسه إلى عاصمة الأشويبين ، وحنّ لتلك الديار ، ولكنه لم يسرع في الرحيل ، حتى اجتمع في مكة بالشيخ عبد الرحمن بن شيخ الإسلام عماد الدين ، فزاده رغبة في زيارة دمشق ، ورياضتها ، وجامعتها الأشويبية البديعة الهندسة .

وبقيت هذه الرغبة تلح حتى منتصف شعبان سنة ١٠٣٧ هـ فمزم على زيارة دمشق - وهو إذالك في بيت المقدس - فدخلها في أواخر شعبان (١) من تلك السنة ، وبهرته دمشق ، وشعر فيها بامتداد الأمل ، وانسراح الصدر ، وإذا أبو العباس ، ينشد في نشوة وسرور :

تريد على مر الزمان طلالة \* دمشق التي راقت بحلو المشارب لها في أقبايم البلاد مشارق \* منزعة أقمارها عن منارب

(١) في خلاصة الأثر أنها دخلت في أوائل شعبان س ١٠٣٩ هـ . وهو خطأ .

وطلب في دمشق مسكنا ، يسكنون قريبا من الجامع الأموي ،  
فأنزلته المغاربة في مكان لا يلبق به ، وكانهم أرادوا ألا يبحوه من حسد  
أبناء وطنه الذي شككوا منه في تألم ، وقلق . ولما سمع به أحمد بن شاهين  
أرسل إليه مفتاح المدرسة الخنقانية (١) مع قصيدة عبر فيها عن ابتهاجه  
بتدومه (٢) .

وأكرمته علماء دمشق ، وأدباؤها إكراما لم ير مثله في مكان آخر ،  
حتى في مدينة فاس . . . . فلما حلت بدارهم ، ورأيت ما أذهلني من  
سبقهم للفضل وبنارهم (٣) صدق الخبر « وأشاد كثيرا بفضل عبد الرحمن  
ابن عماد الدين ، وبفضل أحمد بن شاهين خاصة ، وأشار إلى مكانته في نفوس  
أعيان دمشق . . . . فبكلمة ( يعني ابن شاهين ) أساء الله ، وانغيره من  
أعيان دمشق الذي من أياد ، يحجز عن الإبانة عنها ، أو أراد وصفها قس إياها »  
أما مكانته العلمية ، وشخصيته الأدبية ، فقد طغت في دمشق على كل  
مكانته ، وأصبح أبو العباس شيخ الأدباء والعلماء ويحكفك دليلا ذلك

(١) هي شمالي الجامع الأموي أسسها سنجر الهلالي وولد له شمس الدين  
فانتزعها الملك الناصر حسن س ٧٦١ هـ وأمر بسمارتها ، فنبت بالحجر الابلق ،  
وجاءت في غاية الحسن ، واحترقت في فتنة تيمور ، فيجدد ببناءها سيف الدين  
جاقماق ، وخص الخانقاة بالصوفية . وأضاف إليها مدرسة للايتام وتربتها ، ودرس  
بها جماعة . وجعلت في القرن الماضي مدرسة للذكور ، وهي اليوم في حالة  
خراب ، أو ما يقرب منه . انظر خطط الشام ج ٦ ص ٩١ ط دمشق س ١٩٢٨

(٢) نصح الطيب ج ٣ ص ١٧٠

(٣) يعني المبادرة

اليوم الذي لم يزل المؤرخون يشيرون إليه ، وهو يوم الأربعاء ١٧ رمضان سنة ١٠٣٧ هـ الذي ألقى فيه درسا بالجامع الأموي حضره الكبار والصغار ، حتى ضاق بهم المكان ، وأدهش السامعين بغزارة علمه ، وقوة حافظته ، وفصاحة لسانه . واعترف الدمشقيون للمقري بالفضل والعلم . فتقاطر عليه طلاب الإجازة ، وتراحم الناس في الإلتحاق به . ولقد أشار بنفسه إلى مكاتبه المرموقة بعد جحود ونكران في غير دمشق « ففهم الذين نوهوا بتدري الخامل ، وظنوا مع تقديسي أن بحر معرفتي وافر كامل . حسبما اقتضاه طبعهم العالي ، فلو شريت بعمرى ساعة ذهبت من عيشي معهم ما كان بالعالي » وكان لأهل دمشق فضل على الثقافة العربية ، والأدب المغربي خاصة ؛ لأن فكرة تأليف نفع الطيب لم تدرب بخلد المقري إلا هناك ، وسأشير إلى اتصالها عند الحديث على ظروف تأليف النفع .

لم يزل أبو العباس في حظوة وإكرام على ضفاف بردى إلى أن رجع إلى القاهرة أواخر شوال سنة ١٠٣٧ هـ (١) وقد تألم كثيرا لهذا الفراق الذي يبدو أنه مكره عليه كما سيأتي بيانه ، فهو يخبرنا بأنه قبل أن يزور دمشق كان في حنين دائم إلى وطنه . أما بعد أن زارها ، فإن شوقه ضعف ، وأصبح هواه مقسما . . . فكأنها بلدي التي بها ربيت ، وقراري الذي

(١) في خلاصة الأثر خامس شوال س ١٠٣٩ هـ وهو خطأ . راجع نفع الطيب ج ٩ ص ٣٤٢ . وأنبأ هنا أن المقري يقول في مكان آخر أنها أقام بدمشق إلى أوائل شوال .

لي به أهل وبيت . . . وها أنا إلى هذا التاريخ لا أرتاح لغيرها من البلدان ،  
ولا يشوقني ذكر أرض بابل ، ولا بغداد (١) »  
ولم تُنس القاهرة الشام ، وفضل أهلها ، فإذا هو يشد على ضفاف  
النيل متألماً لفراق نسيم الفوطة ، وأهل دمشق :

أحبنا والله منذ غبت عنكم \* سهادي سميري . والمدامع مدار  
ووالله ما اخترت العراق ، وإنه \* برغمي ولي في ذلك الأمر أعذار  
إذا شام برق الشام طرفي تابعت \* سحائب جنفي . والفؤاد به نار  
لم يزل حنين المقرري إلى دمشق ، وإلى تلك الأيام التي قضاها هناك  
مطمئناً ، لولا أسباب تربطه بالقاهرة يتألم لها ، لم يزل يراوده على العودة ،  
ولكنه رغم شوقه الملحاح لم يخبرنا أنه رجع مرة ثانية إلى الشام إلى سنة  
١٠٣٩ هـ أي السنة التي أتم فيها تأليف نصح الطيب كما سيأتي ، ويعلمنا صاحب  
خلاصة الآثار أن المقرري عاد مرة ثانية إلى دمشق في أواخر شعبان  
سنة ١٠٤٠ هـ .

وهكذا كان تعاقب أبي العباس بعاصمة الأمويين شديداً ، وكان صادق  
الحب لأهلها ، ففياً نال الإعجاب والتقدير . وخفت وطأة الحياة . ومتاعب  
العيش ، ووجد في طيبتها ما عهدته في جو المسمان وفاس من مياه تنساب ،  
فتسبي جذب الحياة ، ورياض توضع ، فتشغل عن تعفن الوسط الذي زاده  
الحكم التركي كراهة .

## المقري في مصر :

يقول المقري أنه دخل مصر في رجب سنة ١٠٢٨ هـ (١) ويبدو أن دخوله هذا ، هو الأول وقبل ذهابه إلى الحج ، وما جاء في خلاصة الأثر من أن المقري ورد مصر في رجب سنة ١٠٢٨ هـ بعد أن أدى فريضة الحج فغير صحيح ؛ لأن المقري يصرح أنه بعد رحلته البحرية والبرية الشاقة ، وصل إلى مصر ، فبقي فيها مدة قليلة ، ثم قصد الحرمين الشريفين . وهو المقصد الأول كما ينههم من كلامه . فهو إذن زار مصر في التاريخ المذكور قبل أن يحج ، ويدل كلام المحيي أيضا على أن المقري بلغ المشرق في أواخر سنة ١٠٢٧ هـ وذلك الذي صرح به عبد الله عنان (٢) وهو غير صحيح فيما يبدو ؛ لأن المقري يذكر لنا أنه ركب البحر من غرب الجزائر في ذي القعدة سنة ١٠٢٧ هـ ويشير إلى أهوال البحر ، وأوقف السير عدة مرات « وحصل لنا في هذه السفرة أيضا أن الريح منعتنا من السفر ، ونحن في ساحل بلاد المدو الكافر (٣) » إذن فالمدة لا تكفي للوصول إلى مصر بله الحج ، ويقول لنا المقري أيضا أنه أضاف شيئا لحاشيته « إفادة المعرم المقري

(١) نفتح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢

(٢) انظر تراجم إسلامية ص ٢٤٧ وجاء أيضا في آخر نسخة مخطوطة من « إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة » ضمن مجموعة بخرينة جامع الزيتونة رقم ٢١٤٢ أن المقري دخل مصر لأول مرة في ١٠٢٧ هـ وذلك خطأ .

(٣) من فتح المنعالم

بتكميل شرح الصغرى « بفتح الاء سكندرية سنة ١٠٢٨ هـ (١) ويظهر  
أن ذلك كان باثر وصوله إلى مصر من المغرب .

وبعد ما أدى أبو العباس فريضة الحج ، وزار المدينة ، رجع إلى مصر  
في محرم سنة ١٠٢٩ هـ ليعود منها إلى وطنه ، وايسكن عاقته عن السفر  
عوائق فأقام بها ، يتربح سنوح فرصة ، وأشاد في أول إقامته ، بمصر وأهلها  
« فإذا ذكر العلم ، فهم سباق غاياته ، أو الفهم فهم رافعوا راياته ،  
أو الاء حسان فشمسوس آياته ، أو القرآن حافظوا آياته ، ذات الاء زهر  
الاء بهى الاء بهر (٢) » وما هي إلا مدة تمر ، حتى تتذكر له القاهرة .  
ويضجر المقرري من المقام فيها ، فإذا هو يسافر لا قطار أخرى ، وايسكنه  
يعود إليها مضطرا من حين لآخر . وإذا بحثنا عن أسباب هذه النفرة من  
المجتمع القاهري ، فسنجدها كثيرة منها مشاكل الاء أسرة ، ومصاهرة  
الوفائيين ؛ ومنها متاعب العيش ، فقد فقد المجتمع القاهري « في ظل النير  
التركي بهاءه وسعته ورخاءه ، وعفت روعة الاء زهر الذي كان من قبل  
موئل الوافدين من كل صوب (٣) » وقبل هذا كله ما شعر به في الوسط  
الثقافي إذالك من تنكر وجحود ، وما تنطوي عليه نفوس أكثر العلماء من  
حسد ، وما يظهر منه من عدم مبالاة بكل ما هو مغربي ، ولقد أشار إلى

(١) انظر آخر الحاشية نسخة مخطوطة ضمن مجموعة رقم ٢١٠٣ بخزينة  
جامع الزيتونة ، وسياتي الحديث عليها .

(٢) من مقدمة فتح المتعال .

(٣) انظر تراجم إسلامية ص ٢٤٩

هذا في كتابه فتح المتعال بعد ما ذكر رسائل كثيرة ، وردت عليه من المغرب ، وأشاد بأصحابها « . . أن أهل المشرق . . غير محققين فضيلة المصريين من أهل المغرب » وتدل على هذا الشعور حوادث كثيرة كذلك التي أشار إليها ، وقد جمعه ناد في القاهرة ببعض العلماء ، وأدى بهم الحديث إلى الكلام على النعل النبوي ، فإذا بأبي العباس يعلن أنه يحفظ في الموضوع أكثر من مائة قافية ، وتلك القصة التي رواها أبو علي اليوسي المراكشي (ت س ١١٠٢ هـ) في محاضراته (١) عن شيخه أبي عبد الله الدلائلي . ورغم هذه النفرة من المصريين ، فإن أبا العباس تبنوا مكانة علمية مرموقة في القاهرة ، وتولى التدريس بالأزهر . والحسد المشار إليه ، لم يغز في الحقيقة قلوب جميع العلماء إذالك . فنحن نجد قاضي القاهرة عبد الكريم التميمي يقول « واستبشرنا من أنفاس معارفه بمودد دروس قد درست . . . فدعونا لله تعالى بأن يديم إقامته بهذه الديار نفعا للطلبة . بل وللعلماء الأبرار (٢) »

وفي القاهرة تزوج المقرئ من عائلة تتمتع بمحظوة وجاه . من اتصلت أسبابه بها ، فقد نال شرفا عظيما في نظر الناس إذالك ، ولكن هذا الزواج ، لم يكن موفقا ، وهذه المصاهرة لم تعد بخير على المقرئ ، فتضاعفت متاعبه وزاد قلقه ، ويبدو أنه صعب عليه الفراق لما يرى فيه الناس من كفران بالنعمة وجهود للشرف الذي أحرز عليه بالمصاهرة ، فصبر وتصبر ، ولكن سبب

(١) راجع المحاضرات ص ٥٧ ط فاس س ١٣١٧ هـ

(٢) راجع رسالتها في آخر فتح المتعال مخطوطة صادقية رقم ٩٧٥

القلق - فيما يبدو - له أثر لا يمكن تجاهله . واهتمت القاهرة في يوم من الأيام لخبر « تطلق » الشيخ المغربي للوفائية ، ونظر لابي العباس نظرة احتقار ، وبلغ الأمر إلى درجة أنه لم يبق في القاهرة من يسلم عليه إلا رجل حداد كما أخبر طالته بالتهرويين . والذي شجع المقرئ على الطلاق فيما يظهر موت ابنته التي كانت السبب الوحيد الذي يصل بينه ، وبين الوفاية .

والذي دلنا على أن ابنته توفيت قبل الطلاق ، هو رسالة ابن شاهين المؤرخة يوم السبت غرة جمادى الأولى سنة ١٠٣٨ هـ والتي يقول فيها « وأما الخندرة الصغيرة ، فالمصيبة بها كبيرة ، إذ العمومة مقرية ، والخوولة وفائية ، فهي ذات النجارين ، وحائزة الفخارين (١) »

ووجد أعداء المقرئ في هذا الطلاق فرصة للطعن ، وظهرت الغيرة في مظاهر اللوم ، ولؤيم جاحد الفضل . وهكذا استتالت القاهرة بؤرة نفاق وكيد في نزار المقرئ ، مع انطفاء شمعة الفكر ، وتطاول الأقسام (٢) فإذا هو ينشد في ألم ، وحسرة من خاب أهله المريض :

تركّت رسومَ عَزِّي في بلادي \* وصرت بمصر منسبي الرسوم  
ورضت النفس بالتجريد زهداً \* وقلت لها عن العلياء صومي  
مخافة أن أرى بالحرص ممن \* يكون زمانه أحدَ الخصوم

(١) نفع الطيب ج ٣ ص ٢٢٤

(٢) انظر ما علل به شهاب الدين الحفاحي رحلة المقرئ من مصر إلى الشام في كتابها ریحانة الالباء . . ص ٢٨٥ ط مصر س ١٣٠٦ هـ

## حنيننا إلى وطننا :

إن من الأمل لشقوة إذا محتته خيبة كان لها في النفس شدة وقع ، وعمق أثر . وذلك ما شعر به المثري في المشرق ، فهو حين كان في فاس مها يظن أن المشرق ضمف أمره ، وقل نشاطه ، وتدهورت ثقافته ، فإنه لا يستطيع أن يتصور ما وجدته . ونظرة المغربي للمشرق على أنه مصدر الأئشعاع والأئتناض قديمة ، قدم الإسلام في شمال أفريقيا .

إذن فقد خاب أمل أبي العباس . ظن أنه سيجد سوقا نافقة للأدب والعلم ، فإذا به أمام كساد قاتل ، ونفوس مريضة ؛ وظن أنه سيطلع على ثروة عظيمة من الكتب النفيسة ، فإذا به أمام جذب في الكتب وأهلها ، فيتذكر مدينة فاس ، وحلقاتها ، ومكتباتها ، ومجالس الأدب فيها ، فيجن ، ويشتد حنينه ، ويتوي العودة ، ولكنه لا يستطيع إليها سبيلا ، فيزداد شوقه إلى مرتع الصبا ، وبلد الأهل والأصدقاء ، وتمر به تلك الذكريات الجميلة في الهمسان ، وفي فاس ، فيقول « ولم أزل بعد انفصالي عن المغرب بقصد الشرق ، واتصالي في أثر ذلك الجمع بالهرق :

أحن إذا خلوت إلى زمان \* تقضى لي بأفنية الربوع  
وأذكر طيب أيام تسوّت \* لنا ففيض من أسف دموعي  
وأتوق وقد التسم من البعد الحرق . وخصوصا إذا شدا سادح ، أو  
أومض برق إلى ديار لا يعدوها اختيار »

والمقري رغم ما فيه فاس من اضطراب وفتنة ، وما اتهم به فيها ، فإننا نجده يقرر الرجوع إلى الوطن (١) وإن خرج منه مضطرا ، وناقيا . . . وما ذلك إلا لحية أمله في المشرق ، والصدمة النفسية التي تعرض لها بعد انقطاع رجائه منه ، وقد كان عظيما . ولما دخل دمشق ، وجد فيها تمويضا لشيء من أمله المنهار . فإذا حنينه لبلاده يضمف إلحاحه ، ويخفت صوته .  
ولذلك نراه حين شعر ببعد العودة ، وبلغ إليه خبر وفاة أمه (٢) ، وانقطعت أسبابه من القاهرة بموت ابنته ، وفراق أمها . يعزم على الرحيل إلى دمشق : ليستقر بها ، ولكن الموت حال بينه ، وبين تحقيق العزم .

## وفاته :

توفي أبو العباس بالقاهرة في جمادى الآخرة (٣) سنة ١٠٤١ هـ (٤) ودفن صبيحة يوم السبت في مقبرة المجاورين (٥) وجاء في « تعريف الخلف »

(١) انظر رسالتة قاضي القاهرة عبد الكريم الفنيسي في آخر فتح المتعمال مخطوطة الصادقية التي يقول فيها « غير اني فهمت من حاله الشريف ، أنه قوض للسفر الحيام . سوفا للوطن »

(٢) انظر رسالة تعزية ، وردت إليه من ابن شاهين . نفع الطيب ج ٣ ص ٢٢٤

(٣) في اليواقيت الشمسية جمادى الاولى .

(٤) في سلافة العصر لابن معصوم س ١٠٤٦ هـ وفي ذيل كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادي ج ٢ ص ٢٣٦ أنه توفي س ١٠٤٣ هـ ويبدو أن روايته ١٠٤١ هـ هي الصحيحة .

(٥) هي إحدى المقابر الواقعة شرقي القاهرة ، وقد اندثرت الان . انظر « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردي ج ٩ ص ١٨٧ ط دار الكتب المصرية س ١٩٤٢

أنه مات مسحوماً بالشام . وهكذا ضمت القاهرة جسد المقرئ رغم نفوره منها ، وعزمه على مغادرتها .

رحم الله المقرئ فقد رما أمتنا بنفح طيبه ، وأزهار رياضه .

### ضبط نسبتي :

إن تعثر الألسن في النطق بهذه الكلمة ، دفع إلى إفرادها بالتأليف ، وإذا كان في هذا طرافة عند بعض الناس ، فإنه عند آخرين ضرب من ضروب الاعتناء المديهم الجدوى ، أو لا ما تعود به القدماء من الاستطراد المفيد أحياناً .

أجل لقد ألف أبو عبد الله محمد الصغير الوفرائي صاحب نزهة الخادي كتاباً سماه « الوشي العبقرى في ضبط لفظة المقرئ » وهذا الكتاب لم يطبع ، ويمكن يظهر أنه معروف بالمنرب الأقصى (١) يتحدث مؤلفه فيه عن صاحب نفح الطيب قليلاً ، وبحث في ضبط لفظة المقرئ . وهذه النسبة يصح فيها وجهان في النطق .

الوجه الأول فتح الميم وسكون القاف وكسر الراء . وهذا مذهب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق المعروف بالحفيد الذي ألف كتاباً سماه « النور البندري ، في التعريف بالفقيه المقرئ » بناء على مذهبه الذي صرح به في شرحه على الألفية عند قول ابن مالك « ووضعوا لبعض الأجناس علم »

(١) انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص ٢٨٠ ط تطوان س ١٩٥٠

وقد تحدث في كتابه هذا عن أبي عبد الله المقرئ جده صاحب الفتح (١) وضبطه أيضا بسكون القاف ابن الأعمش في فهرسته .

والوجه الثاني فتح الميم والقاف مع تشديده ، وكسر الراء . وهذا هو المرجح ، وهو مذهب الشيخ عبد الرحمن الشعالي ، الذي ضبط به النفثة في كتابه العلوم الفاخرة (٢) وهو مذهب أبي العباس أحمد الوائلي في كتابه (ت س ٩١٤ هـ) صاحب كتاب المعيار المشهور ، وقد ألف الوائلي كتابا في ترجمة أبي عبد الله المقرئ ، وهو مخطوط لم يطبع ، يقع في مجلد (٣) وهذا الوجه هو الذي اشتهر في أيام الزبيدي (٤) وعول عليه أكثر المتأخرين منهم المحب . والوجهان نسبة إلى مدينة مقرة بالزباب ، ولكن يا قوت لم يذكر في هذه المدينة إلا فتح الميم ، وسكون القاف فقط (٥) ونحن إذا رجعنا إلى أبي العباس نفسه ، فإننا نجد يقرأ نسبه بتشديد القاف ، فهو يقول مثلا في مقدمة أزهار الرياض :

فيقول أحمد ذو القاصو \* ر المقرئ إذا اتسب  
وكذلك الذين عاصروه ، فإنهم ينطقون بالتشديد .

- (١) انظر فتح الطيب ج ٣ ص ١١٠ الطبعة الازهرية .
- (٢) راجع « نيل الأبتهاج بتطيريز الدياج » ص ٢٤٩ ط مصر س ١٣٢٩ هـ .
- (٣) انظر الدليل ص ٢١٩ وقد ذكر هذا التأليف أحمد المقرئ في الفتح ج ٣ ص ١٧٧ مط بولاق ، وذكر هناك أيضا أنه كان يملك بالمغرب كتابا اسمه « الزهر الباسم » بخط مؤلفه ، ترجم فيه صاحبنا لجده أبي عبد الله المقرئ .
- (٤) تاج العروس ج ٣ ص ٥٤٨
- (٥) راجع معجم البلدان ج ٨ ص ١٢٥ ط مصر س ١٩٠٦